رواسي يثبت الله بها الأرض وتسبح باسمه تعالى

الدقة المتناهية في توزيع الجبال آيات الله على الأرض

أكد امام جامع مستشفى الجهراء الشيخ عبد الله مرشد أن المؤمن ليس بمعزل عن الأحداث من حوله، ينظر بعين بصيرته قبل بصره، الى الحوادث والكوارث على أنها شواهد القوة والعظمة لله تعالى، وأنها شهادة ضعف ومحدودية قوة وعجز للانسان أمامها.

ودعا الى التأمل في خلق الله وفي قوله تعالى : «أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا....» «سورة النمل – 61»، «وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ «الذاريات – 48»، وكيف سخرها الله لعباده «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا..... «البقرة – 22»، «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ «الملك – 15».

وقال : وعندما نتأمل في قوله تعالى «... وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ.... «لقمان – 10»»، نعلم أن الحديث عن الجبال تلك الرواسي التي يثبت الله بها الأرض فلا تهتز ولا تميد ولا تضطرب، تمثل سلاسل من الجبال تدعم الأرض وتثبتها بفضل الله ورحمته بعباده اذا أطاعوه.

أضاف: ولقد أثبت العلم الحديث أن وجود الجبال على سطح الأرض موزعة توزيعاً دقيقاً، يساعد على التوازن بين المنخفضات والمرتفعات، بحيث لا يمكن للأرض أن تميد أو تضطرب.

بدليل قول العلماء أن الجبال لها امتدادات عظيمة تحت القشرة الأرضية، وأن سماكة هذه القشرة تتراوح ما بين 30 – 60 كيلو متراً تحت أرجلنا، وأن الجبال لها جذور مغروسة تثبت بها هذه القشرة على سمكها، فتكون الجبل عندئذ كأنها وتدٌ مصداقا لقوله تعالى ومن ثم يحفظ توازن الأرض واستقرارها.

واشار مرشد إلى أن الجبال تتحرك لان الله تعالى هو الذي قال ذلك : «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ «النمل– 88»».

وهذا يوم القيامة، وكما قال المفسرون ويحتمل أن ذلك في الدنيا،

ولقد أثبت العلم الحديث أن في السبعينيات من القرن الماضي بدأت نظرية تحرك القارات حتى جاء القرن الحالي ليثبت بواسطة الأجهزة الدقيقة، قال كبيرهم «اننا لم نكن نتوقع أن الجبال تتحرك، انها المرة الأولى التي ندرك فيها أن تغيرات معينة تؤثر على سطح الأرض، وأن الجبال تتحرك بفعل هذه التغيرات، وقد تبين لنا أن القارات تبتعد بمقدار قليل جدا بمقياس المليمتر ان هذا حدث عجيب.

ونحن نقول صنع الله الذي أتقن كل شيء، وعندما نتساءل لماذا اختتم الله هذه الآية بقوله «انَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» وما هي العلاقة بين حركة الجبال التي لا نراها وبين علم الله بأفعالنا.

عندما نتأمل هذه الآية نجد أن فيها رسالة لنا نحن البشر وخاصة المؤمنين «اعلموا أن الله تعالى يعلم حركة الجبال وأنتم لا ترونها كذلك فان الله يعلم كل فعل تقومون به وكل كلمة أو فكرة فينبغي عليكم أن تراقبوه تبارك وتعالى في سركم وجهركم.

ان الجبال آية من أيات الله وخلق من خلقه تسبح له، وتمتثل لأمره، وتتعطل وظيفتها بأمره، فعندما يقضي الله أمره ويزلزل الأرض، فترجف وتهتز على من خالفه وعصاه.

لقد ذكر الله في كتابه قصة «مدين» قوم شعيب عليه السلام، فقد كانوا كفاراً يقطعون السبيل ويعبدون الشجرة، ويخيفون الناس وكانوا يبخسون المكيال والميزان ويأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص ويطففون الكيل والوزن.

فبعث الله اليهم شعيباً عليه السلام «وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ....«حتى قال تعالى»..... فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ «85»».

فلم يستجيبوا له وأصروا على ما هم عليه. قال تعالى «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ «91»».

أي رجفت بهم الأرض وزلزلت زلزالا شديدا، قال المفسرون : سلط الله عليهم رجفةً شديدة أسكنت حركاتهم، وأزهقت أرواحهم وأصبحوا جثثا لا حراك فيها ولا حواس ولا حياة.

انه العقاب من الله لمن خالفه وعصاه والله جل وعلا لا يظلم مثقال ذرة. وان الله تعالى يقول في كتابه «.... وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا «59»». ولا شك أن ما يحدث من الزلازل في هذه الأيام وفي غيرها هو من الآيات التي يخوف الله بها عبده.

يقول الشيخ بن باز –رحمه الله – وكل ما يحدث في الوجود من الزلازل وغيرها مما يضر العباد كله بسبب الشرك والمعاصي منهم يقول تعالى «مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ.... «79»، وقال تعالى «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ..... «40»». قال ابن القيم رحمهُ الله : وقد يأذن الله للأرض في بعض الأحيان بالتنفس فتحدث فيها الزلازل العظام فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية والانابة والاقلاع عن المعاصي، كما قال بعض السلف لما زلزلت الأرض، قال: ان ربكم يستعتبكم، وقال عمر بن الخطاب : وقد زلزلت المدينة، فخطب بالناس ووعظهم وقال : لئن عادت، لا أساكنكم فيها. وقال المرشد : فيجب على كل غافل أن يربط بين الأحداث من حوله، وبين ما يفعله، فان لكل شيء سبباً.

ولقد كان السابقون يفعلون هذا، فلا يكاد يحدث لأي منهم أمر الا وَقَرَنه بأفعاله هو.

يقول أحدهم: والله اني لأجد أثر معصيتي في امرأتي ودابتي.

انهم يمتثلون قول الله تعالى... «أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «165»».

ولذلك يبادرون بالتوبة الى الله والانابة اليه وترك ما يغضبه.

ولنعلم جميعاً أن عقيدتنا ثابتة وراسخة بكتاب الله وسنة نبيه، فعلينا أن نثبتها بجبال العلم والعمل بلا تهاون أو تجاوز، فان فعلنا ذلك كان هذا هو الحصن من كل زلازل الشبهات والشهوات التي يمكن أن تعترض طريقنا.

فالواجب عند الزلازل وغيرها من الآيات، أن نبادر الى التوبة الى الله والضراعة اليه وأن نسأله العافية وأن نكثر من ذكره واستغفاره قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الكسوف: «فاذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا الى ذكر الله ودعائه واستغفاره».

وعلينا أن نرحم الفقراء والمساكين وأن نتصدق عليهم لقول النبي «من لا يرحم لا يرحم» «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه لما حدث زلزال في عهده أنه كتب الى أمرائه أن يتصدقوا، فالصدقة تدفع البلاء.

وعلى ولاة الأمر أن يبادروا بالأخذ على أيدي السفهاء والزامهم بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ولنعلم أن الله تعالى يصيب بهذه الزلازل بلاداً كثيرة وقد صرفها عنا وليس ذلك لاننا أبناؤه واحباؤه، بل انه من مزيد انعامه علينا وتفضله، وهذا يستوجب مزيداً من الشكر له قال تبارك وتعالى: «لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ».

■ من المفروض عند الزلازل وغيرها من الآيات أن نبادر بالتوبة إلى الله والضراعة إليه وأن نسأله العافية وأن نكثر من ذكره واستغفاره

لا يتلف طعامها ولا يسوس خشبها ولا تدخلها الحيات والعقارب

المدينة المسحورة «سرقسطة الإسبانية» فتحها المسلمون سلماً عام 714 م

■ تسلم مفاتيحها موسى بن نصير دون قتال وأسموها «المدينة البيضاء»

تقع هذه المدينة الجميلة المسالمة في اقليم «آراغون» على بعد 325 كلم شمال شرق العاصمة الاسبانية «مدريد». وقد أسست على أيدي الرومان قبل مولد المسيح عيسى عليه السلام تقريبا أي قبل أكثر من ألفي عام وأطلق الرومان عليها اسم قائدهم في ذلك الحين «القيصر أغسطس». وبعد فتح المسلمين لبلاد الأندلس بقيادة البطلين موسى بن نصير و طارق بن زياد سُلمت هذه المدينة من أهلها طوعا دون قتال لموسى بن نصير شخصيا عام 714م فعَرب المسلمون اسمها من «القيصر أغسطس» الى «سرقسطة». وسماها المسلمون أيضا «المدينة البيضاء» لعدم اراقة الدم في فتحها «وقيل لبياض بنائها». كما أطلقوا عليها اسم «الثغر الأعلى» كونها تقع على الحدود الشمالية للدولة الأندلسية، وقال عنها القائد موسى بن نصير: ما شربت ماءً أحلى من ماء سرقسطة. ويمتاز أهل سرقسطة منذ ذلك الحين الى يومنا هذا بالطيبة وتجنب العنف ويقدر عددهم حاليا بـ 660.000 نسمة تقريبا.

وتعتبر مدينة سرقسطة من أغرب وأعجب المدن في العالم اذ إنه لا تدخلها الأفاعي ولا الحيات ولا العقارب بل ان بعض المؤرخين ذكر بأن ما يدخل اليها جبرا من الأفاعي أو العقارب فانها تموت!!

وقد اكد المؤرخ الحمري بأنها مدينة لا تدخلها الأفاعي أبداً ولا تعيش فيها، فحتى لو جاء أحدهم بأفعى اليها فسوف تموت.

وذكر ذلك أبو العباس التلمساني في كتابه (نفح الطيب) «كذلك بأنها مدينة لا يدخلها ثعبان من نفسه، واذا أدخله أحد اليها لم يتحرك. وأنه ما دخلتها حية أو عقرب الا ماتت، وأكد كذلك أن الطعام لا يتعفن فيها ولا يتسوس الخشب ولا ثياب الصوف ولا الحرير أو الكتان.

وقد ذهب ابن حزم في رأيه بأن ذلك من فعل السحرة حيث قال: «ومنه ما يوجد من الطلاسم كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب، فينفع امساكه من لدغة العقرب، وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب وهي سرقسطة فانها لا يدخلها ثعبان قط الا ان كان بغير ارادته».

■ أسسها الرومان قبل ميلاد المسيح عليه السلام ومازال أهلها يحتفظون بطيبتهم

ويرى البعض أن الجبص والرخام هو السبب الحقيقي لعدم تواجد الأفاعي هناك.

وهذا الكلام الغريب عن المدينة الجميلة يستوقف الناظر خصوصاً انه مذكور من قبل أعلام معروفين في مؤلفاتهم ويتبادر السؤال هنا: هل هناك علاقة بين مدينتي سرقسطة ومدينة سبأ اليمنية؟ حيث جاء ذكر مدينة سبأ في القرآن في قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ»، وتفسير بلدة طيبة: أي ليس فيها سباخ و لا بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها.

همسات في أذن العصاة والغافلين

الى كل غافل.. الى كل مصر على المعاصي والذنوب.. نقول: إلى كم تماطلون بالعمل، و تطمعون في بلوغ الأمل، وتغترّون بفسحة المهل، ولا تذكرون هجوم الأجل؟ اعلموا.. انكم ما ولدتم الا للعبادة ومصيركم الى التراب، وما بنيتم في الدنيا فللخراب، وما جمعتم فللذهاب، وما عملتم ففي كتب مدّخر ليوم الحساب:

ولو أننا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حيّ

ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شيء أيها المقيم على الخطايا والعصيان، التارك لما أمرك الرحمن، المطيع للغويّ الفتان، إلى متى أنت على جرمك مصرّ، ومما يقرّبك إلى مولاك تفرّ؟ تطلب من الدنيا ما لا تدركه، وتتقي من الآخرة ما لا تملكه، لا أنت بما قسم الله من الرزق واثق، ولا أنت بما أمرك به لاحق. يا أخي، الموعظة والله لا تنفعك، والحوادث لا تردعك. لا الدهر يدعك، ولا داعي الموت يسمعك، كأنك يا مسكين لم تزل حيا موجودا، كأنك لا تعود نسيا مفقودا. فاز، والله، المخفون من الأوزار، وسلم المتقون من عذاب النار، وأنت مقيم على كسب الجرائم والأوزار.

وأنشدوا:

عيل صبري وحق لي أن أنوحا
لم تدع لي الذنوب قلبا صحيحا
أخلقت مهجتي أكف المعاصي
ونعاني المشيب نعيا صريحا
كلما قلت قد بري جرح قلبي
عاد قلبي من الذنوب جريحا
إنّما الفوز والنعيم لعبد جاء
في الحشر آمنا مستريحا
إخواني، ارفضوا هذه الدنيا كما رفضها الصالحون، وأعدّوا الزاد لنقلة لا بدّ لها ان تكون، واعتبروا بما تدور به عليكم الأيام والسنون.

يا من غدا في الغيّ والتيه
وغرّه طول تماديه أملى لك الله
فبارزته ولم تخف غبّ معاصيه

قال الجنيد رضي الله عنه: مرض السّريّ السّقطي –رضي الله عنه– فدخلت عليه أعوده، فقلت له: كيف تجدك؟ فقال:كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي قد أصابني من طبيبي فأخذت المروحة لأروّح عليه، فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق من داخل، ثم أنشأ يقول:

القلب محترق والدمع مستبق
والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له
مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا ربّ إن كان شيء فيه لي فرج
فامنن عليّ به ما دام بي رمق

المزني والشافعي

ويروى عن المزني، قال: دخلت على الشافعي –رضي الله عنه– في علته التي مات منها، فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولكأس المنيّة شاربا، ولسوء عملي ملاقيا، وعلى الله واردا، فلا أدري: أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها؟ ثم بكى وأنشأ يقول: ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فمازلت أعفو من الذنب ولم
تزل تجود وتعفو منة وتكرّما
فلولاك لم ينج من ابليس عابد
وكيف وقد أغوى صفيّك آدما

اخواني: بادروا بالتوبة من الذنوب، واقتفوا آثار التوّابين، واسلكوا مسالك الأوّابين، الذين نالوا التوبة والغفران، وأتعبوا أنفسهم في رضا الرحمن، فلو رأيتهم في ظلم الليالي قائمين، ولكتاب ربهم تالين، بنفوس خائفة، وقلوب واجفة، قد وضعوا جباههم على الثرى ورفعوا حوائجهم لمن يرى ولا يرى:

وأنشدوا:

ألا قف ببابي عند قرع النوائب
وثق بي تجدني خير خلّ وصاحب
ولا تلتفت غيري فتصبح نادما
ومن يلتفت غيري يعش خائب